٢١

بين سنة القلق.. وسنة الخطر!!

على جسر الانتقال الزمنى ما بين سنة القلق (١٩٦٩) وسنة الخطر (١٩٧٠) وجدت نفسى فى طائرة إلى موسكو فى زيارة سرية يقوم بها (جمال عبد الناصر) للاتحاد السوفييتى.

فى يوم ٢٠ يناير كنا بالفعل على هذه الطائرة وكنا ٢٥ راكباً.. وكانت طائرة سوفييتية من باب السرية والحماية.

وكان هناك ٢٥ راكباً منهم (عبد الناصر) والفريق (فوزى) وزير الحربية فى ذلك الوقت.. ومحمود رياض وزير الخارجية والسفير السوفييتى فى ذلك الوقت سيرجى ديمجرادوف.. وكان فى الجزء الثانى من الطائرة عدد من القواد المصريين وعدد من القواد السوفييت الذين جاءوا لدراسة بعض الموضوعات التى طلبها (جمال عبد الناصر)..

وكان منهم بالتحديد الجنرال كولبيون.. وهو خبير في الدفاع الجوى.. وأيضاً كان معنا خبير في العمليات البحرية وهو برتبة أدميرال وهو أريكسى شيكوسكى.. ومجموع من الخبراء السوفييت الذين يعملون في مصر وأربعة من سكرتارية الرئيس.. وهناك ٢ من الأطباء.

وعند صعود الطائرة فوق الدلتا تقريباً جاءت معلومات من الفريق صادق للفريق (فوزى) بأن الإسرائيليين بدأوا في الإنزال على جزيرة شدوان.. وذهب الفريق (فوزى) إلى مكان استقبال الرسائل المشفرة.. والسوفييت لا يعرفون عنها شيئا.. وكان أحد الملاحيين أعطاه للفريق (فوزى) وتم حل الرسالة بسرعة بواسطة أحد الضباط الموجودين مع الفريق فوزى.

وعرفنا وقتها بعملية الإنزال وبدا القلق على الفريق فوزى.. الذي جاء وجلس معنا وقال لـ (عبد الناصر) إنه يخشى أن تكون عملية الإنزال على شدوان هى مقدمة لعبور إلى الشاطئ الآخر .. أى إلى الغردقة.. ثم من الغردقة إلى وادى النيل.. واستبعد (جمال عبد الناصر) هذا الاحتمال وقال إنه لا يتصور أنه من الممكن أن يقوموا بعملية إنزال من هذه الجزيرة.

واقترح الفريق (فوزى) أن يعود ويقود المعركة.. لكن رأى (عبد الناصر) أن يسند قيادة المعركة للفريق صادق.. وأنه مطمئن إلى قائد جبهة البحر الأحمر في ذلك الوقت وهو اللواء الشاذلى.. وقال لفوزى أن يترك الموضوع للعسكريين يديرون معركتهم.. وأوضح (عبد الناصر) أن العودة قد تثير ربكة شديدة سواء فيما ما نقصد إليه من رحلة موسكو أو إلى القيادة الموجودة وأنه سوف نشعرهم أنهم لا يستطيعون التصرف بمفردهم.

كانت معركة هائلة واضطر الإسرائيليون إلى الانسحاب بعد محاولتهم احتلال الجزيرة المقابلة لشاطئ الغردقة والبحر الأحمر ويتصورون أنها ممكن أن تكون مصدر إزعاج دائم.. تلقينا في موسكو بعد ذلك خبر انتهاء العملية.

وطلب (عبد الناصر) سكرتيره محمد أحمد.. وأخذ منه تقريراً كتبه (عبد الناصر) بخط يده عن سلسلة مقابلات أجراها مع الخبراء السوفييت استعداداً للسفر لموسكو.. وفي هذا التقرير الذي كتبه في ٢٦ ورقة كل الملاحظات التى سمعها.. سواء على كلام

المصريين الذين أتوا مع الخبراء السوفييت.. أو من الخبراء السوفييت أنفسهم.. وهو كان يعد نفسه لمناقشة عسكرية.

وطلب (عبد الناصر) بعد قراءة التقرير أن يأتى له الجنرال والأدميرال مع القادة المصريين.

وظلت المباحثات العسكرية مستمرة وكنت أنا ورياض نتحدث عن بعض الموضوعات السياسية وما الممكن أن يثار وما هى الاحتمالات إلى آخره.

وبعد ذلك وصلت الطائرة لموسكو الساعة ١٠ صباحاً.. وظلت الطائرة في السير ووجدنا أربعة سيارات كبيرة.. ووجدنا الرئيس وزير الدولة و(كوسيجين) رئيس الوزراء في انتظار (عبد الناصر).. ثم مر موكب السيارات بنا في طريق دائرى فيما يبدو.. لتجنب دخول موسكو.. وكان المقصود سواء منا أو من السوفييت إبقاء هذه الزيارة سراً.. وكان كل الناس يتحسبون أن هذه الزيارة لها معنى خاص في هذا الوقت.. بعد كل ما جرى من تصعيد على الجبهة وغارات العمق والثورة الليبية.

ووصلنا لتلال لينين على نهر مسكوفا على الناحية الأخرى من موسكو إلى الفيللا رقم ١والتى كنا فيها في زيارة قبل ذلك.. وعلى الباب كان موجوداً (بريجنيف) زعيم الاتحاد السوفييتى في ذلك الوقت.. ومعه الجنرال دمتشكو وزير الدفاع.. وشعر (بريجنيف) أن (جمال عبد الناصر) متعب فطلب أن تكون الجلسة غداً فرفض (عبد الناصر).. وطلب أن تبدأ الجلسة الساعة الثالثة بعد الظهر في نفس اليوم.. وأنه ليس هناك وقت.. وإذا أردنا المحافظة على سرية المحادثات فأهم شيء ألا تطول مدتها.. وكان يتصور أنها لا تطول أكثر من يومين.. وأنه من الممكن أن يذاع سر الزيارة في ذلك الوقت.

ونظمت ثلاثة جلسات مسائية.. وشرح (عبد الناصر) في الجلسة الأولى الوضع على الجبهة وفي المنطقة.. واهتموا بموضوعين أولهما موضوع ما جرى في ليبيا وهل كنا على علاقة به وما هى اتجاهات النظام في ليبيا وهو يأتى في موقع استراتيجى مهم جداً على البحر الأبيض وبموارد بترول لها أهمية.

والموضوع الثانى وهو مؤتمر القمة وحرب الاستنزاف.. وكان (عبد الناصر) قد أكد أن الأمور على الجبهة لم تصل لحد المعجزة ولكنها مرضية.. وأن السوفييت لديهم تقارير كل الخبراء.

وقال الرئيس بريجينف لى إن مقولة **"ما يؤخذ بالقوة لا يسترد بدونها"** إنها تجربة الاتحاد السوفييتى في الحرب أمام هتلر.. وقال إنه مهما كان العمل السياسى مهما لتغطية فترة كان ضرورياً أن نعيد الاستعداد.

وكان ضرورياً جداً إقناع العالم بنوايانا السلمية.. ونحن مستعدون.. والآن نحن وصلنا لموقف نعتقد أنه سوف يتصعد.. ونحن سمعنا منكم وتحدثنا في هذا كله.. والخبراء السوفييت موجودون.. لكن المشكلة في غارات العمق.. فعندنا مشكلة دفاع جوى في غارات العمق لأنها ممكن أن تهدد أهدافاً حيوية.. ورفعنا كفاءة القوات المقاتلة على الجبهة إلى درجة أرغمت الإسرائيليين على إعادة التفكير في مواجهة من نوع آخر ونحن أمامنا كل التقارير.. وكان لديهم هذه المعلومات ولم تكن سراً.. والمعلومات كانت تأتى أن الشباب الإسرائيلى يهرب من الجبهة وأن هناك تغييراً في المجتمع الإسرائيلى بعد (٦٧) ولا بد للناس أن تدركه.. فمجتمع (٦٧) أصابته نوبة غرور واعتقد أن الحرب انتهت.. وحققوا النصر الذي ينهى كل الحروب.. وظهر الشباب غير المستعد للموت.. والشيء الآخر أن تكاليف الدفاع بدأت ترتفع من تكاليف سنوية قدرها سنة ٦٥ من ٢٦٠ مليون دولار وهى الآن قاربت على ٧٠٠ مليون دولار.. طبقاً لأرقام موثقة من البنك المركزى الإسرائيلى.. وليس بها سر.. وهذا بسبب تصاعد العمليات.

وبالنسبة للإسرائيليين رأوا نقل المعارك للعمق وفي معركة العمق سنواجه مشاكل.. لأنه ببساطة دخول الطائرات الفانتوم للعمق وقدرتها على الطيران المنخفض صنع لنا مشكلة وصواريخ الدفاع الجوى لدينا كلها هى (سام ٢).

وكلمة سام ليست كلمة روسية وإنمه هي اختصار لعبارة (service air missile) وهى تعنى صاروخ (أرض - جو) و(سام ٢) والذي استعمل في ذلك الوقت يصلح للارتفاعات العالية فوق ٥٠٠ متر.. ولكن الإسرائيليون لن يأتوا للأهداف التى أتينا إليها في العمق في هذا الارتفاع وينزلون للطيران المنخفض ويضربون على مواقع حيوية مثل ما حدث في نجع حمادى أو أهداف مدنية مثل ما حدث في المدارس.

وفي بعض المنشئات مثل المستشفيات بهدف ترويع المدنيين إلى جانب الأهداف الحيوية.. وطلبنا نوعاً آخر من الصواريخ وهو (سام ٣) وهو صالح طبقاً لمعلوماتنا فهو متحرك وقادر على تغطية فجوة ٥٠٠ متر فوق سطح الأرض لتغطية هذه المسافة من الارتفاعات المنخفضة وهذا ما نريده ونحن نعلم أن السوفييت لديهم.

وقال (كوسيجين) وقتها أنه مستحيل لكونه ما زال تحت التطوير ولم يدخل بعد في الخدمة.. وقاطع بيرجنيف رئيس وزرائه وقال له انتظر لما يفرغ الرئيس (عبد الناصر) من كل حديثه.

وملخص كلام (عبد الناصر) أننا نحتاج لنقلة جديدة في الصواريخ وبدا في أول الأمر أنهم قلقون من أن يعطونا هذه الصواريخ وقال (كوسيجين).. إن (سام ٢) ما زال في استخداماته ولكن كيف أنتم تستخدمونه لأن كل سلاح في واقع الأمر صالح إذا عرفت الطرق المثلى لاستخدامه وهو يخشى أن تكون هناك طرق خاطئة في استخدام (سام ٢).

وكان ظاهراً أن (عبد الناصر) لديه معلومات واضحة عن (سام ٣) وهو مصمم على الحصول عليه.. وفي نهاية هذه الجلسة قال (بريجنيف): إن صديقنا ناصر يريد أن يحصل على كل ما يريد ونحن نريد أن نقدم له كل ما يحتاجه وهنا فرق بين ما يريد وما يحتاجه.

العسكريون المصريون كانوا قاطعين في أن (سام ٢) لا يصلح لمواجهة الطيران المنخفض خاصةً على الأهداف الحيوية وحرب العمق تدخل في مرحلة كبيرة.

واستشهد (عبد الناصر) أنه حتى في نوايا الإسرائيليين للنزول في شدوان قد تعطى إشارة واضحة لتهديد أهداف حيوية في الصعيد وبالتحديد السد العالى.

وبعد أن انفض الاجتماع السياسى جلس العسكريون مع بعضهم.. وفي صباح اليوم التالى نظم العسكريون اجتماعاً آخر ودخلوا الجلسة الأولى من هذا اليوم من الزيارة وهذه جلسة من أغرب الجلسات التى رأيتها في كل التجربة السياسية التى أتيح لى أن أعيشها.. ودخل العسكريون وقد وضع العسكريون مشكلة كبيرة جداً.. هذه المشكلة أن (سام ٣) لم يخرج إطلاقاً من الاتحاد السوفييتى وحتى لم يذهب لدول

حلف وارسو.. وقال الفريق (فوزى) لـ (دويتشكو) في الاجتماع المسائى إن دول الحلف لا تحارب ونحن من يحارب.

وبصرف النظر عن كل المناقشات بين العسكريين كان من الواضح أن العسكريين السوفييت على طول الخط يعطونه حججاً.. وكان في تصوراتهم أن الحزب يضيع الاتحاد السوفييتى وهم الأمناء على قوة الدولة السوفييتية ولكن حينما أتوا لنا في اليوم التالى أثاروا مشكلة بدت بلا حل.. وهذه المشكلة أن طواقم الصواريخ التى تعمل على (سام ٢) لا تستطيع الانتقال من ذلك الطراز إلى هذا الطراز.. لأنهم مختلفون تماماً.. إلا بتدريب خاص يستغرق ٦ شهور وهذا التدريب ومعدات هذا التدريب كبيرة جداً لدرجة أنه لا بد أن يجرى التدريب في الاتحاد السوفييتى.

وقال (كوسيجين) إذا كان ليس سهلاً أن تنتقل طواقمكم المصرية من العمل بسام٢ إلى العمل على (سام ٣).. إلا بـ ٦ شهور من التدريب فكيف يمكن أن تغطى هذه الفترة.. ويتم ترك مواقع الدفاع في العمق كلها على طواقمكم للتعلم على (سام ٣) ثم تعود.. وهل ستستدعى أناساً جدداً.. وبدا أن الموقف وصل إلى عقدة.

واقترح (عبد الناصر) أنه على الجبهة نحن مستعدون لتحمل جميع المخاطر وسوف نظل نستعمل صواريخ (سام ٢) وسنتحمل مسئولية الجبهة كاملة.. وفي العمق نحن مستعدون لسحب كل طواقم صواريخ (سام ٢) تذهب للاتحاد السوفييتى تتدرب لمدة ٦ شهور وأنه في هذه الفجوة الزمنية يقوم الخبراء السوفييت بتشغيله حتى عودة الطواقم الأصلية تعود وتستلم موقعها ويرح السوفييت.

ودخل مدجورنى رئيس الدولة هذا ما معناه أننا سنشترك في الحرب وهذا وضع خطير جداً ونحن قلقون أن يتسبب في أزمة من الدرجة الأولى.. وبدا (بريجنيف) يسايره.

وتحدث (عبد الناصر) أن السوفييت يتعرض للهجوم الفعلى وأنه ما رأيناه في تشيكوسلوفاكيا في العام الماضى.. وما نراه في أوروبا الشرقية والولايات المتحدة الأمريكية سياسة عليا وأنتم تخرجون بيانات وتكتفون بتسجيل مواقف.. وهذا يضر بكم.. ونحن رأينا سبب تجرؤ الأمريكان وسبب تجاسر أجهزتهم العلنية أو الخفية.. إذا لم نكسب هذه المعركة في هذه المرة وبكل الوسائل.. فإذا لم نستطع أن نصحح موازين ما جرى يوم ٥ يونيو فنحن نعتقد أنه سوف نقاسى والاتحاد السوفييتى سوف

يقاسى وسوف يكون الهجوم عليه في هذه المرة مباشرة وليس عن طريق أصدقاء له في آسيا وفي أفريقيا والشرق الأوسط.

وأكمل (عبد الناصر).: أن الأمريكان وقفوا بالصواريخ الكوبية وعملوا حصاراً وأنتم بهذه الطريقة المبالغة في الحذر.. فنحن لا نريد مغامرات ولا نريد أى حرب نووية نحن نحاول عمل تصاعد محسوب.. وأنا لا أعتقد وحتى لو اضطررتم إلى الدفاع عن مواقع عمق مدنية ولمدة ٦ أشهر وأنا لا أريد أكثر من ذلك.. وهى مناقشات حامية وكان من الواضح أن القيادة السوفييتية أصبحت أمام موقف غريب وزاد الكلام أن (جمال عبد الناصر) انتهى بكلامه أنه إذا أراد السوفييت أن يصبح مستقبل العالم مستقبلاً أمريكياً فأنا أوافق.. وأترك مكانى لأحد يستطيع التعامل مع الوضع الجديد.

وقال (بريجنيف) صديقنا ناصر من فضلك اعطنا فرصة لأنك بهذا الشكل تضعنا في مأزق شديد وهذه عملية ينبغى حسمها.. وما قلته من موضوع الانتقال من (سام ٢)إلى (سام ٣) فالخبراء موجودون وسيكونون في العمق .. وسينطوى ذلك على مخاطرات شديدة.. والغريب أنهم طلبوا من فترة الظهيرة وحتى المساء إعطاءهم فرصة حتى يستطيعوا البحث.. وقالوا إنهم بالفعل سيحضرُون المكتب السياسى كله لكى يناقش مسألة خطيرة.

وفي حوالى الساعة ٣ ظهراً كان هناك كم طائرات هليكوبتر يهبط.. وقال مراد غالب إن مارشالات كثيرين يأتون وإنه من الواضح أن هناك اجتماعات على أعلى مستوى.

وآخر من جاء في الجلسة الثالثة المنعقدة أدميرال جورشيكوف قائد الأساطيل الروسية والرجل المجنون بالبحر الأبيض.. وقابلته بعد الاجتماع وسأل سؤالاً عن أن ليبيا لديها شاطئ ٣٤٠٠ كيلو متر.. وإذا وضع مع الشواطئ المصرية والعربية المطلة فسيكون البحر الأبيض بحيرة عربية.

ودخلنا في الجلسة الأخرى وهى غريبة جداً فقد قال (بريجنيف) إنه يقول إن الاتحاد السوفييتى اتخذ قراراً.. على أعلى مستوى من أخطر القرارات التى اتخذها في عمره بعد الحرب العالمية الثانية.. لأنه نحن نعلم أهمية الشرق الأوسط ونحن ندرك كل ما

قلتموه ولا نريد لموقع التحرر العربى أن يوضع في مأزق وأن صديقنا ناصر هو نوع من الدفاع عن الاتحاد السوفييتى.. ونحن سوف ندخل.. وهناك مجموعة قضايا لا بد من الاتفاق عليها.

أولها أنه تم الاتفاق على الكلام وأن تغطية هذه الفترة بالدفاع عن العمق والتى تقتضيها تعليم طواقمكم العاملة على (سام ٢) على الصاروخ الجديد (سام ٣) وكله سيذهب للاتحاد السوفييتى.. وكلهم سيتدربون لمدة ٦ أشهر ونحن لدينا خبراء.

ويجب أن يكون الموضوع واضحاً ونحن نتدخل فقط في الأهداف الحيوية والمدنية وغارات عليها ولم نهرب منها ونحن متفقون أنه لدينا مجموعة أهداف حيوية موجودة في المحلة الكبرى وميناء الاسكندرية.. وكفر الدوار وموجودة في منطقة حلوان وأسيوط وما حولها والسد العالى.. وهى جميعها ١١ منطقة.. ونريد الدفاع سلبياً عنها حتى أتأكد أن إسرائيل سيضربونهم من العمق.

وقال (بريجنيف) ملاحظة تستحق التسجيل "يا سيادة الرئيس إذا بقيت قواتنا في وقت تقودون فيه معركة العبور فمعنى هذا سينشأ موقف لا نستطيع احتماله".. وتعهد (عبد الناصر) أن هذا لن يحدث وأنه لا يريد أن تكون هناك مواجهة بينكم وبين الأمريكان.. ولا أريد أن يقول لنا أحدٌ إننا حاربنا بجنود سوفييت.. ولا أريد أفرادا سوفييتيين وقت المعركة الكبرى على جبهة القتال موجودين ضمن قواتنا.. وأريد المعركة أن تكون مصرية وعربية بطريقة واضحة وكاملة.

الشيء الثالث وهو كيف يمكن أن يكون رد فعل الجماهير المصرية؟ فقال له (عبد الناصر): إنه يعرف الجماهير المصرية ولا مشكلة في ذلك.. وحدث اتفاق يبدو أنه لا يكاد يصدق نتيجة التطور الواقع.

أثناء العشاء وجدت برجنيف يربت على كتفي ويقول لى إن كل الكلاب ستعوى ابتداءاً من الغد.. عندما يتسرب هذا الخبر ستعوى كل الكلاب في الصحافة العالمية.. وقال لى إننى أعرف الصحافة الغربية والإعلام الغربى أكثر منكم.. وطلب منى التفكير في خطة حول كيف التعامل يمكُن حينما يتسرب هذا الخبر.. ونحن سوف نفعل كل ما في وسعنا للحفاظ عليه سراً.. فإذا تسرب كيف تكون خطة مواجهته

إعلامياً.. وطلب منى برجنيف أن أفكر في هذه المواجهة جدياً وكيف يمكن أن تكون المواجهة الإعلامية في الصحافة العالمية.

وأبلغنا السوفييت في اليوم الثانى بعدة أشياء أولها أنه اختير لقيادة العملية القادمة للدفاع الجوى جنرال سمنهوف وهو أحد خبراء الدفاع الجوى المشهود لهم.. وأكثر واحد كان موجوداً في تصميم (سام ٣) الصاروخ الجديد المتطور والمتحرك والقادر على مواجهة الارتفاعات المنخفضة وهو من سيكون مسئولاً عن العملية وظل العسكريون حتى الفجر وأبلغونا بها وعلمنا أنهم أسمو العملية اسم رمزى وهو قوقاز.

وكنا نتصور.. وهم أيضاً.. إبقاء هذا الموضوع سراً لأطول مدى ممكن وحتى جروميكو[1] مازحنى وقال لى بألا أنشر عن هذا الموضوع.. في مقالى الأسبوعى.. وطلبت منه الاطمئنان وأننى أعرف ومدرك لأهمية الموضوع.. ومارشيلات الاتحاد السوفييتى كنت أراهم على الإفطار هم وأعضاء المكتب السياسى والقيادة السوفييتية وأدميرالاته وعدد كبير جداً من المارشالات وأنا شخصياً لم أر هذا العدد مثل ما رأيته في هذا الصباح.

وحدث شيء في منتهى الأهمية في هذا الصباح أيضاً.. وقال لجروميكو أنه هناك مشكلة فالأمريكان فور معرفتهم سيغيرون من سياساتهم التفاوضية للوصول لمشروع (روجرز) وأن اللجنة الرباعية في نيويورك تعمل الآن.

---

(١) أندريه أندرييفيتش جُروميكو (١٩٠٩ - ١٩٨٩م).كان مسؤولاً مهمًا في الاتحاد السوفييتي السابق لفترة طويلة.. فقد عمل وزيرًا للخارجية بين عامي ١٩٥٧م و١٩٨٥ وفي عام ١٩٨٥ أُعفي من منصبه كوزير للخارجية وتم تعيينه رئيسًا للجنة التنفيذية الدائمة لمجلس السوفييت الأعلى.. وكان منصبًا شرفيًا إلى حد كبير.. وأصبح في عام ١٩٧٣ عضوًا في المكتب السياسي.. وهو الهيئة الصانعة لسياسة الحزب الشيوعي.. واعتزل جروميكو منصبه عام ١٩٨٨ والتحق بالخدمة الدبلوماسية السوفييتية عام ١٩٣٩ حيث عمل سفيرًا سوفييتيًا لدى الولايات المتحدة بين عامي ١٩٤٣م و١٩٤٦ وفي عام ١٩٤٤م كان رئيسًا للوفد السوفييتي إلى مؤتمر دومبارتون أوكس في واشنطن العاصمة.. والذي ساهم في تأسيس أنظمة الأمم المتحدة.. وابتداء من عام ١٩٤٦م كان جُروميكو رئيسًا للوفد السوفييتي إلى الأمم المتحدة.. وكثير من المؤتمرات الدولية.. وأصبح جُروميكو يشتهر بمعارضته المتشددة للقوى الغربية.. ومن يونيو ١٩٥٢م إلى مايو ١٩٥٣ عمل جُروميكو سفيراً لدى بريطانيا.. وكان نائبًا لوزير الخارجية بين عامي ١٩٤٧م و١٩٥٢م.. ثم من عام ١٩٥٣م إلى عام ١٩٥٧سافر جُروميكو بوصفه وزيرًا للخارجية مع رئيس الوزراء نيكيتا خوروشوف إلى الولايات المتحدة عام ١٩٥٩م. وفي عام ١٩٦١م شارك في الاجتماع بين خروتشوف والرئيس جون كنيدي في فيينا بالنمسا.. وقاد فريق المفاوضات السوفييتي الذي رتّب لمعاهدة الحظر الجزئي للتجارب النووية مع بريطانيا والولايات المتحدة في موسكو عام ١٩٦٣م.

وقال (عبد الناصر) لجروميكو لا تقلق من المحطة السياسية سنأخذها مرة أخرى وأنه في حالة البدء في محادثات مرة أخرى فهذا معناه أن الأمريكان سيتحدثون عن مشروع (روجرز) ولم نرفض أو نقبل فاتركوا لنا الموقف معلقاً كما هو.. وأنه في حالة تسرب موضوع الأسلحة ستجدون أنفسكم في حيرة مما تقولونه.

وعلى أى حال نحن نستطيع أن نقول في حالة سؤالنا على مشروع (روجرز) سنتناقش معهم وفي موضوع الأسلحة فحجتنا جاهزة فنحن لنا حق في الدفاع عن أنفسنا بكل الوسائل إزاء أى تدخل.. وهذه الطائرات الفانتوم تغير علينا في العمق وموقفي في هذا أقوى وبالتالى التفويض الذي أعطيناه لكم والذي وصل لمشروع (روجرز) انتهى.

وسنأخذ المفاوضات مرة أخرى ويكفي عليكم ما قمتم به والموضوع السياسى سنأخذه.. وبدا على الزعماء السوفييت الفرح.. وبينما نحن خارجون جاء لوداعنا الجنرال وكان قبله كبير الخبراء بلاشنكو وكان رجلاً رائعاً خاصةً في تعاونه مع (عبدالمنعم رياض) في حرب الصواريخ.

وحل محله الجنرال (كتشكين).. يقول (عبد الناصر) عن طريق المترجم أن سيادة الرئيس لديه مشكلة.. خبراؤنا الموجودون وضباطنا من الاتحاد السوفييتى والذين سيكونون في مصر كما اتفقتم يشعرون أنهم مثل جنود العصابات لأنكم ستمنعونهم من الاحتفاظ بالزى السوفييتى الرسمى ودون رتب فالجنرال مثل الجاويش ولا يظهر.. فكرامة البدلة السوفييتية والجيش السوفييتى.. وأنهم مضطرون لارتداء الأفرول.. ويسأل إذا كان ممكناً السماح لهم بارتداء الزى العسكرى.

وقلقت عندما سمعت هذا الكلام وقال له (عبد الناصر) إنه مستعد تلبية أى طلب إلا هذا.. وهذا من مصلحتكم لأنه في حالة ارتداء بدلة عسكرية وهو موجود في مصر ويباشر عمله في العمق فلا مانع للشعب المصرى أن يقارن بين وجودكم لدينا وما بين وجود البعثة العسكرية البريطانية في مصر قبل الثورة.. ونادى (عبد الناصر) برجنيف وقال له عن طلب جنرال (كتشكين) واعتذر له عن قبول الطلب.. وكان الفريق (فوزى) واقفاً ولم يكن يتصور هذا الطلب يمكن رفضه في هذا الوقت بالتحديد.

وجاء الجنرال سمينبوف بعد عودتنا إلى القاهرة بثلاثة أيام لاستكشاف المواقع المطلوب حمايتها دفاعاً سلبياً.. وجاءت الشحنات والغريب أنها جاءت في ميناء

الإسكندرية أول فبراير ودخلت في طابور مفتوح في شوارع الإسكندرية.. وبعد ذلك قال (عبد الناصر) أنهم طلبوا السرية واليوم هم يعلنون وكان تفسيراً واضحاً أمامنا.. وأنها إشارة واضحة من إشارات الحرب الباردة.

وانه هناك لغة في الحرب الباردة وهى أن الإنذارات توجه بشفرات تكون واضحة في القوى الأعظم.. وعلى أى حال ما أثاروه أن مواقع الصواريخ لا بد أن تعمل معها طائرات ولا بد من وجود طائرات.. وأقلعت الطائرات السوفييتية ودخلت في اشتباك مع القوات الإسرائيلية لكن ابتداء من يوم ١٨ مارس ومع وجود الخبراء توقفت غارات العمق ودخلت الحرب في مرحلة انتقل خلالها التركيز كله على الجبهة.

❖❖❖

obeikandl.com